# خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ٢٠٢٣/٣/٣م

في مسجد مبارك، إسلام آباد ببريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

إن معرفة القرآن الكريم التي أعطانا إياها المسيح الموعود عليه السلام والأسلوب الذي قدّمها به في كتبه وأقواله من أجل فهمنا إياها والعمل بها، فقد ألقيت حول ذلك خطبتين اثنتين في جمعتين ماضيتين. إن خزينة المعرفة التي يعطيناها القرآن الكريم لهي توصل العبد إلى الله تعالى، وليست ثمة ذريعة أخرى للوصول إلى الله ولنيل قربه. وهناك بيت من الشعر للمسيح الموعود عليه السلام يقول فيه ما معناه:

القرآن كلام الله تعالى وهو يوجّه إليه تعالى، وإن بستان المعرفة يظلّ ناقصًا بدونه.

وهذه هي النقطة التي يجب أن نضعها أمامنا دائمًا. فإن كنا نريد قرب الله تعالى ورضاه وتحسين عاقبتنا، فلا بد لنا أن نتذكر أن القرآن الكريم ذريعة وحيدة لتحقيق ذلك، ولكن يجب أن نتذكر أنه لفهم هذه المعرفة ثمة حاجة إلى هاد مرسل ومعيّنٍ من الله تعالى، وهو في عصرنا الحالي المسيح الموعود عليه السلام والخادم الصادق للنبي ﷺ.

لقد ألقى حضرته الضوء على جوانب مختلفة للقرآن الكريم بعد التعمق فيه، وأطلَعنا على جماله، ولقد ذكرت ذلك في خطبتين ماضيتين كما أخبرتكم. لم تنته بعدُ سلسلة فهم خزينة هذا العلم والمعرفة لتعاليم القرآن الكريم، بل لازالت هناك مواد كثيرة جديرة بتناولها بهذا السياق.

سأستمر اليوم أيضا في تناول الموضوع نفسه وأذكر ميزات القرآن الكريم ومقامه وأهميته على ضوء أقوال المسيح الموعود عليه السلام وكتاباته، فإن المعرفة العميقة التي أعطانا إياها حضرته عن مقام القرآن الكريم وأهميته تمنحنا فهمًا وإدراكًا للعمل بتعاليم القرآن ولنيل قرب الله تعالى. فينبغي أن نحاول الإصغاء إلى هذه الأمور واستيعابها حتى نتمكن من تحقيق الهدف من حياتنا.

لقد كتب المسيح الموعود عليه السلام في إحدى رسائله إلى "لاله بهيم سين" موضّحًا أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، قال فيها:

"منذ أيامٍ قليلة جاء بَرهمن آري إلى قاديان يدعى ليكهرام، وقال إن الفيدا كلام الله وليس القرآن الكريم كلام إلهي، قلت: لقد ادعيت أن الفيدا كلام الله وأنا لا أعتبره كلام الله في وضعه الحالي لأنه يتضمن تعاليم الشرك. وأنّى للكلام الذي يحتوي على تعاليم الشرك أن يكون كلام الله تعالى؟ كما أنه يتضمن بعض التعاليم النجسة الأخرى أيضا، وأعتبرُ القرآن الشريف كلام الله، لأنه لا توجد فيه تعاليم الشرك ولا التعاليم النجسة الأخرى، وينكشف للمرء وجه الله الحي بإتباعه وتظهر له المعجزات."

فيشترط لكلام الله تعالى أن يكون مترهًا عن الشرك، ومن خلال العمل به ينكشف وجه الله تعالى.

كيف لعب القرآن الكريم دورًا عظيمًا في إراءة وجه الله تعالى؟ يمكن ملاحظة ذلك في حياة الصحابة.

يذكر المسيح الموعود عليه السلام تأثير تعاليم القرآن في الصحابة فيقول:

"يتبين من إلقاء نظرة شاملة على زمن النبي ﷺ الذي كان زمن صدر الإسلام كيف أنه أوصل تعليمُه ﷺ المؤمنين به من الدرجة الأدنى إلى الدرجة العليا؛ لأن حالة معظم المؤمنين الابتدائية التي جاءوا بها كانت أسوأ من وحوش البراري أيضا، وكانت حياتهم كالسباع، وكانوا متورطين في أعمال قبيحة وأخلاق سيئة لدرجة كانوا قد خرجوا من دائرة الإنسانية، وصاروا فاقدي الشعور حتى أنهم ما كانوا يشعرون بأن أخلاقهم سيئة، أي تلاشى منهم التمييز بين الحسنة والسيئة. فإن التأثير الأول الذي تركه فيهم تعليم القرآن وصحبة النبي ﷺ كان أنهم أصبحوا يشعرون بأنهم عراة من لباس الطهارة تماما ومتورطون في قذارة سوء الأعمال، كما يقول الله عن حالتهم الابتدائية: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾. ثم عندما شعروا نتيجة الصحبة المقدسة للنبي ﷺ وتأثير الفرقان الحميد الطيب أن الحالة التي يقضون بها حياتهم إنما هي حياة السبُعية وأنهم متورطون في سوء الأعمال تماما؛ تحركوا إلى الأعمال الصالحة مستمدين القوة من روح القدس، كما يقول الله تعالى بحقهم: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾. تلك كانت القوة الغيبية التي يُعطاها الإنسان بعد الإيمان والصبر إلى حد ما. وبعد الحصول على تلك القوة لم يبق هؤلاء على درجة الشعور بعيوبهم وذنوبهم والنفور من رائحتها الكريهة، بل بدأوا يخطون خطوات حثيثة إلى الحسنات حتى طَوَوا مسافة كمال الصلاح إلى النصف، ونشأت فيهم قوة لكسب الأعمال الصالحة مقابل الضعف (أي لم يتخلّوا فقط عن ضعفهم بل أخذوا يتقدمون في مجال كسب

الحسنات) وبذلك حازوا على حالة الوسط. ثم خاضوا في المجاهدات بالاستفادة من قوة روح القدس ليغلبوا الشيطان بأعمالهم الطيبة. فاختاروا إرضاء لله مجاهدات لا يُتصور أكبر منها عند الإنسان، ثم قدروا أرواحهم ولا كالعشب والكلأ في سبيل الله، فقُبلوا في حضرة الله وبرّأ الله تعالى قلوبهم من الذنوب كليًّا، وألقى فيها حب الحسنات."

فهذا كان تأثير القرآن الكريم فيهم بحيث نهضوا من الأرض وأصبحوا نجوم السماء المتلألئة الذين قال عنهم النبي ﷺ أن كل واحد منهم هادٍ لكم. يصبح الإنسان من خلال متابعته للقرآن الكريم مظهرًا لصفات الله تعالى، يبين حضرته هذا الأمر فيقول: "إن الذي يتبع القرآن الكريم ويبلّغ الحب والصدق منتهاهما يصبح مظهرا لصفات الله تعالى بصورة ظلية". (أي لا يشترط الاتباع فقط بل لا بد أن يبلّغ المرء الحب والصدق منتهاهما، وهذا يعني أنه ينبغي أن يعمل بجميع أحكام الله تعالى بعد ذلك سيصبح مظهرًا لصفات الله تعالى). ثم قال عليه السلام: وكل ذلك يكون نتيجة تلك القوة والخاصية العظيمة التي نلاحظها في كلام الله القرآن الكريم. ولا توجد تلك القوة والخاصية العظيمة في أيّ كتاب آخر يُعدّ كتابا إلهاميا عند أيّ قوم. قد يكون سبب ذلك أن تلك الكتب قد أصابها التحريف والتبديل نتيجة مرور أزمنة سحيقة، أو قد يكون السبب أن كلماتها لم تُحرَّف ولكن حُرِّفت معانيها، أو لعل سببه عائد إلى أن الله تعالى في هذا الزمن الأخير سلب البركات من الكتب السابقة كلها لرفع الفُرقة وجمع الناس في العالم كله على كتاب واحد فقط. وإلا فما السبب في عدم وجود ميزة في تلك الكتب بحيث يستطيع الإنسان أن يدخل في جماعة أولياء الله كما يستطيع ذلك نتيجة اتباعه الصادق للقرآن الكريم والنبي ﷺ؟ لهذا السبب ينكر أتباع هذه الكتب كمالاتها التي يمكن أن تتسنى للإنسان في مقام القرب، بل يسخرون من الكرامات وخرق العادات ويستهزئون بها. (أي أنهم لا ينكرون المعجزات فحسب بل يستهزئون بها، وهذا هو سبب ابتعادهم اليوم عن الله تعالى وعن الدين). ثم قال حضرته عليه السلام: ولكننا لا نستهزئ بهم قط (أي لا نستهزئ بأحد منهم) غير أن نظرةً على حرمانهم تثير البكاء حتما. (إن قلبنا يفيض بمؤاساتهم، ولكنهم ابتعدوا عن الله تعالى ونسوا صفاته وسمّوا تصرفاتهم الخاطئة تنوير عصر جديد، فأصبحوا يتصرفون كالأنعام، وهذا ما نراه اليوم في المتهافتين على المادية). على أية حال، يواصل حضرته عليه السلام كلامه فيقول:

لا أريد أن أسرد هنا قصصا قديمة بل أقول ما أعلمه شخصيا. لقد وجدت في القرآن الكريم قوة عظيمة، وقد رأيت في اتّباع النبي ﷺ خاصية عجيبة لا توجد في أي دين آخر، وهي أن متّبعه الصادق

يصل إلى مقامات الولاية. ولا يُكرمه الله تعالى بكلامه فقط بل يُريه بفعله أنه هو الإله الذي خلق السماوات والأرض، عندئذ يسبق إيمانه في العلوّ نجوما عالية أيضا. فإنني صاحب تجربة في هذا المجال، ويكلّمني الله تعالى وقد أظهر على يدي أكثر من مئة ألف آية. فمع أنني أحترم جميع الأنبياء في العالم وأبجّل كتبهم أيضا، لكنني أعدّ الإسلام وحده هو الدين الحي لأن الله تعالى ظهر عليّ بواسطته. ومن كان يشك في بياني هذا عليه أن يأتيني للتحقيق في هذه الأمور ويمكث عندي شهرين على الأقل وسأتكفّل بجميع نفقاته التي تكفيه لهذه المدة. إن الدين عندي هو ذلك الذي هو حيّ ويُري اللهَ عيانا بإظهار قدراته الحية والمتجددة، وإلا لا معنى لادّعاء صحة الدين ولا دليل عليه.

فالذين قدر لهم الفيض من هذه الدعوة فقد نالوه وأحرَزوا الفلاح، وأقاموا عنده وقبلوه، اليوم أيضا علم كلامه والخزائن الدفينة تري الكثيرين وجه الله، فإذا كان يجب علينا أن نُطلع عليه الآخرين علينا أن نبذل جهداً جهيدا للاستفادة من كلامه، عندها يمكن أن نحقق الهدف من بيعتنا.

ثم قال حضرته عليه السلام في بيان أربعة محاسن إعجازية للقرآن الكريم:

من محاسن القرآن الكريم الإعجازية الفصاحةُ والبلاغة أيضا التي تنفرد وتمتاز تماما عن فصاحة الإنسان وبلاغته لأن مجال فصاحة الإنسان وبلاغته ضيق جدا، فلا يقدر المرء على أعلى درجات البلاغة والفصاحة ما لم يخلط في الكلامِ المبالغةَ أو الكذب أو أمورا غير ضرورية في الكلام. (وكلام الله منزه من هذه الأمور تماما، فلا يخالطه شيء آخر) وميزة القرآن الكريم الإعجازية الثانية هي أن جميع القصص التي بيّنها هي في الحقيقة نبوءات أشار إليها أيضا في عدة أماكن. (وهذا أيضا نجده في القرآن الكريم) والميزة المعجزة الثالثة في القرآن الكريم هي أن تعليمه يضم في طياته كافة الأسباب لإيصال فطرة الإنسان مبلغ الكمال. وتوجد فيه جميع الأدلة والآيات الضرورية التي يحتاج إليها الإنسان لبلوغه مرتبة اليقين. والميزة العظمى الأخرى فيه هي أنه يقرّب المتبع الكامل إلى الله تعالى إلى درجة ينال شرف مكالمة الله تعالى وتظهر على يده الآيات البيّنة ويحظى بتزكية النفس والاستقامة الإيمانية. وهذه النقطة التي بيّنها القرآن الكريم لجديرة بالتذكر جيدا أن فيض الآيات السماوية الذي يترل على المؤمن الكامل إنما هو فعل الله ولا يمكن لأحد أن يحسبه نتيجة ميزة فيه. إن مزية المؤمن الكامل الشخصية هي التقوى والطهارة وقوة الإيمان والاستقامةُ. مثلا لو وقع ضوء الشمس على جدار فهو ليس من مزايا الجدار، لأنه يمكن أن ينفصل عنه. بل مزية الجدار هي أن يكون مؤسَّسا على حجر صلدٍ وأن

يكون قويا متينا لا يهتز قط مهما غزته السيول وهبت العواصف والزوابع والطوفانات وهطلت الأمطار الغزيرة.

فهكذا يجب أن يكون حال الإيمان أيضا، يجب أن نعمل بتعليم القرآن الكريم باعتباره كلامَ الله المقدس ونؤمن بأنه حصرا يقوي إيماننا ويوصلنا إلى الله ﷻ بحيث لا يقدر أي عاصفة أو طوفان أو معارضة على زعزعة إيماننا. فميزة الإنسان أن يسعى جاهدا ليقع عليه نور كلام الله دوما ويسعى لإدراكه.

ثم قال حضرته عليه السلام إن القرآن الكريم كتاب تُتقبل الدعوات باتباعه، ثم قال في تفصيل ذلك: من تأثيرات القرآن الكريم الإعجازية إن الذين يتبعونه اتباعا كاملا ينالون درجة القبول، وإن الله ﷻ يتقبل دعواهم ويُطلعهم على ذلك بكلامه اللذيذ وذي الهيبة وينصرهم على الأعداء بوجه خاص، ويُطلعهم على غيبه الخاص تأييدا لهم.

ثم قال عليه السلام مبينًا أن الهدايات كلها في القرآن الكريم، وقال:

كان أهل الكتاب في ذلك البلد أيضا قد اتّخذوا الجرائم مهنة لهم مثل مشركي العرب. لقد ركّز المسيحيّون على الكفارة وزعموا معتمدين عليها أن الجرائم كلها قد أحلَّت لهم. وكان اليهود يقولون بأنهم لن يدخلوا الجحيم بسبب هذه الجرائم إلا بضعة أيام فقط لا أكثر، كما يقول الله تعالى بهذا الشأن: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾. لقد نشأ فيهم هذا التجاسر والجرأة إذ قالوا: لن تمسنا النار إلا أياما معدودات. وقد تبنَّوا هذه الأفكار معتزين بافتراءاتهم التي يقومون بها.

إذًا، حين ساء سلوك أهل الكتاب والمشركين إلى أقصى الدرجات وزعموا بعد ارتكابهم السيئات أنهم قد أحسنوا صنعا، وما كادوا يرتدعون عن الجرائم وكانوا يخلّون بالأمن العام، جعل الله تعالى زمام الحكومة بيد نبيه ﷺ وأراد أن ينقذ الفقراء من قبضتهم. ولما كانت بلاد العرب خليعة الرسن وما كان أهلها خاضعين لحكومة مَلك، فكانت كل فئة تعيش عيش التحرر والتجاسر تماما. ولأنه لم يكن هنالك قانون ينصّ على عقوبة لهم لذا ظل هؤلاء القوم يزدادون في الجرائم يوما إثر يوم. فرحم الله تعالى تلك البلاد و لم يرسل النبيَّ ﷺ إليها رسولا فقط بل جعله مَلكها أيضا، وأكمل القرآنَ الكريم كقانون فيه تعليمات عن القضايا المدنية والجنائية والمالية كلها. فكان النبي ﷺ حاكما على جميع الفِرق بصفته مَلكا، فكان الناس من كل مذهب يحتكمون إليه في قضاياهم. يثبت من القرآن الكريم أن يهوديا ومسلما احتكما إليه ﷺ ذات مرة، فصدّق النبي ﷺ اليهوديَّ بعد التحقيق وأصدر القرار في

القضية لصالحه ضد المسلم. فبعض المعارضين الجهلاء الذين لا يتدبرون القرآن الكريم يصنِّفون كل أمر تحت رسالته، بينما كان ﷺ ينفّذ هذا النوع من العقوبات بصفته خليفة أي ملِكا.

ثم قال حضرته عليه السلام بيانا لموضوع الفوز بالحياة الطاهرة ببركة القرآن الكريم:

من الواضح الجلي أن المزية العظمى لأي شيء هي أن يفي على أحسن وجه بالغرض الذي صُنع من أجله. فمثلا إذا اشتُري ثورٌ للحراثة فستُعدُّ مزيته أن يُنجز مهمة الحراثة على أحسن ما يرام. (أي يُشترى الثورُ من أجل الحراثة وإنما يعد الثور جيدا من قدر على أعمال الحراثة جيدا) كذلك يجب أن تكون مزية الكتاب السماوي أن يخلّص متّبعه من كل ذنب وحياة سيئة ويهبه حياة طاهرة بواسطة تعليمه وتأثيره وقدرته على الإصلاح وخاصيته الروحانية. وأن يعطيه بعد تطهيره بصيرة كاملة لمعرفة الله تعالى ويوطد علاقة الحب والعشق مع الله الذي لا مثيل له وهو منبع كل سعادة لأن هذا الحب هو أساس النجاة في الحقيقة. وهذه هي الجنة التي بدخولها تزول كل كآبة ومرارة وألم وعذاب. ولا شك أن الكتاب الإلهامي الحي والكامل هو ذلك الذي يوصل الباحث عن الله إلى هذا الهدف وينجيه من الحياة السافلة ويوصله إلى الحبيب الحقيقي الذي وصاله عين النجاة، وأن يخلّصه من الشكوك والشبهات كلها ويهبه معرفة كاملة وكأنه يرى ربه. وأن يوفقه لإنشاء علاقة متينة مع الله تعالى حتى يصبح صاحبها عبدا مخلصا لله تعالى فيُكرمه الله بلطفه وإحسانه إلى درجة يميز بينه وبين غيره بأنواع نصرته وأصناف تأييداته وحمايته، ويفتح عليه أبواب معرفته. وإن لم يؤدّ كتابٌ واجبه هذا الذي هو واجبه الحقيقي وأراد أن يثبت ميزاته بادّعاءات سخيفة أخرى فمَثله كمثل الذي يدّعي أنه طبيب حاذق وحين يُعرض عليه مريض ليشفيه يقول إني لا أستطيع أن أشفيه، ولكني بارع في المصارعة أو يقول إني خبير في علم الأفلاك والفلسفة. من الواضح أن شخصا مثله سيُعدُّ مهرِّجا ويكون جديرا باللوم عند العقلاء. إن كتاب الله ورسله الذين يأتون إلى الدنيا يكون الهدف الأهم من مجيئهم أن يخلصوا الدنيا من حياة الذنوب والآثام ويقيموا علاقات طيبة مع الله تعالى. ولا يهدفون إلى أن يعلّموا العالم علوما دنيوية ويُطلعوا الناس على اكتشافات دنيوية.

فزبدة الكلام، لا يصعب على العاقل والعادل أن يفهم أن واجب الكتاب الإلهي ينحصر في أن يوصل الإنسان إلى الله تعالى ويبلغه إلى مرتبة اليقين عن وجود الله تعالى ويرسخ عظمته وهيبته في القلوب ويحول دون ارتكاب الذنوب. وإلا ماذا نفعل بكتاب لا يقدر على إزالة الأوساخ من القلب ولا يهب معرفة مقدسة وكاملة تنفِّر من الذنب.

اعلموا أن الرغبة في الإثم جذام خطير، ولا يزول هذا الجذام ما لم تنزل كالمطر تجليات معرفة الله الحية، وآيات هيبته وعظمته وقدرته، وما لم ير الإنسان ربه مع قدراته المهيبة الهائلة قريبا منه كما ترى الشاة الأسد على خطوتين منها. إن الإنسان بحاجة إلى أن يتطهر من أهواء الإثم المدمرة، وأن تترسخ عظمة الله في قلبه بحيث تنمحي رغبته في الشهوات النفسانية الجامحة التي تسقط عليه كالبرق وتحرق متاع تقواه في لمح البصر.

ولكن هل من الممكن أن تلك الأهواء النجسة التي تنتابه كنوبات الصرع مرة بعد أخرى وتُفْقِده حواس الصلاح والطهارة، ستزول عنه بمجرد أن يتصور برميشوره (أي ربه) الذي اخترعه بنفسه، أو هل يمكن أن تُكبَح تلك الأهواء بأوهامه التي اختلقها، أو هل هي تتوقف بعقيدة الفداء والكفارة التي لم يذقْ معاناتها وآلامها. كلا، ثم كلا. إن هذا الأمر ليس بهين عادي، بل إن أَولى الأمور التي تستحق التدبر وإعمال الفكر عند العاقل إنما هو أن يفكر كيف يكون في مأمن من الدمار الذي ينتظره نتيجة تجاسره وقطعِ علاقته نتيجة الإثم والمعصية.

والظاهر أن من المحال أن يترك المرء اللذات اليقينة بناء على الظنون والأوهام فقط. (أي هناك لذات يقينة يتمتع بها الإنسان، ولا يمكن أن يتركها بناءً على ظنه بأني سأجد فيما بعد وفي زمن من الأزمان كذا وكذا من النعم، إن شاء الله).

الحق أن اليقين هو الذي يجعل المرء يقلع عن أمر يقيني آخر. فمثلا لو علمنا علم اليقين أن في هذه الغابة غزلانا ونستطيع صيد كثيرٍ منها بسهولة، وكنا جاهزين لصيدها بناء على هذا اليقين، ولكن بلغنا خبرٌ يقينٌ آخرُ بأن في الغابة خمسين من الأسود المفترسة، وآلافا من الأفاعي الفتاكة التي تنتظرنا فاتحةً أفواهها، فسوف نقلع عن فكرة الصيد. وبالمثل، لا يمكن ترك الإثم من دون مثل هذا اليقين أبدًا. أي إنما السبيل لترك الإثم أن يكون عندنا اليقين بأننا لو اقترفنا الإثم الذي يمكن أن نجد فيه لذة مؤقتة عابرة، ولكن سيكون مثلُنا كمثل من يذهب للصيد إلى غابة فيها الأسود الضارية والأفاعي الفتاكة، فنقلع عن فكرة الصيد في الغابة. فيمكننا أن ننجو من ارتكاب المعاصي إذا أيقنا بأن بطش الله شديد، وإذا اقترفنا الإثم سيبطش بنا الله تعالى.

ثم يقول عليه السلام:

الحديد بالحديد يُفلَح. وإن الأمر اليقين بعظمة الله وهيبته هو الذي يشق حجب الغفلة، ويُرجف الأبدان، ويُري الموت قريبا، ويجعل خوف الله مستوليا على القلب بحيث يمزق النفس الأمارة كل

ممزق، ويجذب الإنسان إلى الله تعالى بيد من الغيب، ويملأ قلبه باليقين بأن الله موجود في الواقع، وأنه لا يترك المجرم الجريء من دون عقاب. فماذا يفعل طالب الطهارة الحقة بالكتاب الذي لا يسد حاجته هذه. ولذلك أريد أن أكشف على الجميع أن الكتاب الذي يسد هذه الحاجات الضرورية هو القرآن الكريم، حيث ينجذب المرء باتباعه لتعاليمه إلى الله تعالى، ويفتُر فيه حب الدنيا، ويتجلى عليه الله الذي هو غيب الغيب ووراء الوراء في نهاية المطاف، وإن ذلك الإله القادر الذي لا تعرف الأمم الأخرى قدراته يُري بنفسه وجهَه لمن يعمل بأحكام القرآن الكريم، ويسيح به في عالم الملكوت، ويُسمِعه صوته القائل: أنا الموجود ليخبره على وجوده سبحانه وتعالى.

فهذا الفهم والإدرك الذي يجب أن يتسنى لنا بشأن القرآن الكريم. هذا هو الجانب العملي لهذا التعليم الذي يجب أن يظهر من خلال أعمالنا، وإلا فإن دعوانا بالإيمان يكون مجرد دعوى فارغة كما يدعي به أتباع الأديان الأخرى. لقد قال المسيح الموعود عليه السلام هنا إن هذا الكتاب (القرآن) يقوم بالإصلاح ولكن الكتب الأخرى لا تقوم بالإصلاح لأن تعاليمه ليست متكاملة، فإذا كنا مؤمنين بالقرآن الكريم، ولكن لم نصلح أنفسنا، فالذنب ذنبنا، فهناك حاجة لأن نتبع تعاليم القرآن اتباعا كاملا، أما إذ لم نتبعها حق الاتباع و لم نعمل بها حق العمل فكيف يتم إصلاحنا؟ لذا من واجبنا أن نسعى لأن نتبعها حق الاتباع. نسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك.

يقول حضرته عليه السلام: "تشهد تجربتنا وتجربة الذين خلوا قبلنا بأن القرآن الكريم يجذب متّبعه الصادق بواسطة خواصه الروحانية ونوره الذاتي وينوّر قلبه، وبإراءة آيات عظيمة يُحكِم مع الله تعالى علاقة لا يمكن أن يقطعها سيف أيضا يريد تمزيقها. هو يفتح عين القلب ويغلق ينبوع الذنب الوسخ، ويُشرِّف بمكالمة الله ومخاطبته العذبة ويهب العلوم الغيبية ويُطلع على استجابة الدعاء بكلامه. وكل من يتصدى لمتّبع القرآن الصادق يُظهر الله تعالى عليه بآيات مهيبة أنه مع عبده هذا الذي يتّبع كلامه."

يقول عليه السلام إن كون المرء متبعا صادقا للقرآن الكريم هو الشرط للنجاة عن الشرك: "إن بذرة التوحيد التي بذرها القرآن الكريم في بلاد العرب والفُرس ومصر والشام والهند والصين وأفغانستان وكشمير وغيرها من البلاد، واستأصل الوثنية وأنواع عبادة المخلوق الأخرى من جذورها من معظم البلاد، فهذا عمل لا نظير له في أيّ عصر."

أقول: اليوم نرى الإسلام منتشرا ونرى صف الشرك مطويا في هذه البلاد فهو نتيجة العمل بتعليم القرآن الكريم، ولهذا الغرض آمن آباؤنا بالإسلام، ولكن إن لم نعمل به نحن فهذا يعني أننا عائدون إلى الجهل مجددا.

يقول المسيح الموعود عليه السلام عن سمو تعليم القرآن الكريم: يحكم العقل بالقطع أن الكتاب الذي أتى في بدء الخليقة لن يكون كاملا، (أي أن العقل يقبل أنه لا يمكن أن يكون الكتاب الذي جاء في البداية كاملا) بل سيكون كمعلّم يعلّم الأولاد حروف الهجاء. (أي يعلمهم الأبجدية) والواضح تماما أن التعليم الابتدائي مثله لا يحتاج إلى كفاءة عالية. (فإذا أريد تعليم أطفال الابتدائية حروف الهجاء والأبجدية فلا يقتضي الأمر كفاءة تُذكَر) أما الزمن الذي تقدمت فيه خبرة الإنسان ووقع الناس في أخطاء عديدة تمسُّ الحاجة عندئذ إلى تعليم دقيق، وخاصة حين انتشرت ظلمة الضلال في العالم بشدة ووقع الناس في أنواع الضلال العلمي والعملي، عندها ظهرت الحاجة إلى تعليم أعلى وأكمل وهو القرآن الكريم. أما الكتاب في الزمن الابتدائي فلم يكن بحاجة إلى تقديم تعليم أعلى لأن الناس كانوا حينئذ بسطاء وما كان الضلال والظلام قد ترسخ فيهم بعد. أما الكتاب الذي نزل حين كان الضلال قد بلغ منتهاه فجاء لإصلاح الناس الذين ترسخت المعتقدات الفاسدة في قلوبهم وصارت الأعمال القبيحة كعادة لهم فكان حريا بتقديم تعليم أعلى.

لقد جاء تعليم القرآن الكريم حين وصلت قوى الإنسان الذهنية درجة البلوغ والرشد، كما بلغت السيئات أيضا منتهاها، وكان الإنسان غارقا فيها، فجاء التعليم وفقًا لقواه الذهنية.

ثم قال حضرته فيما يخص كون القرآن الكريم كتابًا عالميًّا: اعلموا أنه صحيح تماما أن الناس قد أُعطوا كتابا إلهاميا في زمن بدء الخليقة. ثم قال: وإذا طرح أحد هنا سؤالا بأنه لماذا أُعطي الناس في بداية العصر كتابا إلهاميا واحدا فقط ولِـــمَ لم يُعطَ كل قوم كتابا منفصلا؟ فجوابه أن الناس في بداية الدهر كانوا قلة بل كانوا أقل عددا من أن يُدعَوا قوما، لذا كان كتاب واحد كافيا لهم. ثم حينما انتشر الناس في العالم وتكوّن في كل منطقة من مناطق الأرض قوم منفصلون، وجهل كل قوم عن أحوال قوم آخرين جهلا تاما بسبب بُعد المسافات، فاقتضت حكمة الله ومشيئته في تلك الأزمنة أن يُرسَل إلى كل قوم رسولا منفصلا ويُعطى كل قوم كتابا إلهاميا منفصلا، فهكذا كان. ثم حين ازداد عدد السكان في العالم وفتحت سبل اللقاءات المتبادلة وتيسرت لأناس في بلد أسباب اللقاء مع أناس في بلد آخر وعُلم أن الناس يقطنون في بقعة كذا وكذا في الأرض، واقتضت مشيئة الله أن تجعلهم أمة واحدة

مرة أخرى وأن يُجمَعوا بعد الفُرقة والتشتت. عندها أرسل الله تعالى كتابا واحدا لجميع البلاد وأمر فيه أنه كلما وصل هذا الكتاب إلى بلاد مختلفة في زمن من الأزمان يجب على أهلها أن يقبلوه ويؤمنوا به. وذلك الكتاب هو القرآن الكريم الذي جاء لتوطيد العلاقة المتبادلة بين البلاد كلها. كل الكتب قبل القرآن الكريم كانت خاصة بقوم أي كانت تأتي لقوم معين فقط. فكان أهل الشام والفُرسُ والهنود والصينيون والمصريون والروم أقواما بحد ذاتهم، والرسل الذين جاءوا إليهم كانت دائرتهم محدودة على قومهم فقط دون أن تكون لهم أدنى علاقة مع أمم أخرى. ثم جاء القرآن الكريم بعدهم جميعا ككتاب عالمي وليس خاصا بقوم دون قوم، بل جاء للأقوام كلها. كذلك جاء القرآن الكريم لأمة كانت تنوي أن تصبح قوما واحدا رويدا رويدا. فقد تيسرت للزمن الراهن أسباب انخراط الأمم المختلفة في سلك الوحدة شيئا فشيئا. لقد سهلت اللقاءات المتبادلة التي هي الأصل، تكوين أمة واحدة، حتى أنه يمكن قطع مسافة كانت تستغرق السنوات في بضعة أيام. وقد اخترعت وسائل المواصلات حتى أن الخبر الذي كان من المتعذر أن يصل من بلد بعيد حتى في عام كامل يمكن وصوله الآن في ساعة واحدة. لقد حدث في هذا العصر انقلاب عظيم، وقد اتجهت أمواج بحر الحضارة إلى جهة بحيث يبدو صراحة أن الله تعالى يريد أن يجعل الأمم المنتشرة في العالم كله أمةً واحدة، ويجمع بين المتفرّقين منذ آلاف السنين. وهذا الخبر مذكور في القرآن الكريم. والقرآن الكريم وحده ادّعى بكل وضوح أنه جاء للأمم كلها كما يقول ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾. ثم يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، ويقول: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾. ولكننا نقول بكل قوة وشدة بأنه ما من كتاب موحى به ادّعى ذلك قبل القرآن الكريم، بل جعل كل واحد منها رسالته محدودة على قومه فقط إلى درجة أن النبي الذي اتخذه النصارى إلها قال: "لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ". وقد شهدت أحداث الزمان أيضا أن ادّعاء القرآن الكريم الدعوةَ العامة في محله تماما، لأن باب الدعوة العامة كان قد فُتح في زمن النبي ﷺ."

ثم قال عليه السلام مبينا أن للقرآن الكريم أربع أوجه أي أربع علل. فيقول إن لكل شيء أربع علل أي الأسباب أو الأوجه وتسمى أربع علل. فما هي تلك العلل الأربع؟ هي: العلة الفاعلة، أي من هو فاعل فعلٍ ما. ثم العلة الصورية، أي هي الأسباب الظاهرية. ثم العلة المادية. أي هل له فائدة مادية أيضا؟ ثم العلة الغائية. أي ما هي السبب الحقيقي والأساسي والإجمالي لهذه الأشياء؟ ففي هذه المقام ذكر الله تعالى العلل الأربع للقرآن الكريم فقال العلة الفاعلة لهذا الكتاب هو﴿الم﴾ ومعناها عندي هو

"أنا الله أعلم". أي الله تعالى أعلم بالهدف من خلق الإنسان. والعلة المادية هي: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ أي هذا الكتاب أنزله اللهُ الذي علمه أكبر وأوسع من الجميع. وأنه يمكن الحصول على فوائد عظيمة بالعمل بهذا الكتاب. والعلة الصورية هي: ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي أن ميزة وعظمة هذا الكتاب هو أنه لا شك فيه ولا ريب. وإن تعليمه جميل بحيث لا نظير له، وكل ما ورد فيه محكَم، وكل ادعاء جاء فيه مدعوم بالأدلة وهو واضح تمام الوضوح. والعلة الغائية لهذا الكتاب هو: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي الهدف من نزول هذا الكتاب هو ليهدي المتقين. وهذا يجب أن يكون هدف الكتاب الحقيقي والديني.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام في شرح الآية الثاني والثالثة لسورة البقرة:

"فقد عدَّ الله التقوى شيئًا ضروريا جدًّا لدرجة أنه عدّها الغاية الغائية من القرآن الكريم. فإنه لما استهلّ السورة الثانية قال: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾. إن مذهبي هو أن هذا الترتيب القرآني يحتل مرتبة عظيمة، وقد ذكر الله فيه عِللا أربعا أي العلة الفاعلة والعلة المادية والعلة الصورية والعلة الغائية. هذه هي العلل الأربع التي تكون في كل شيء، والقرآن الكريم يحقّقها بصورة أكمل. ففي ﴿الم﴾ إشارة إلى أن الله الأعلمَ أنزل هذا الكلام على رسول الله ﷺ، أي أن الله تعالى هو فاعله. وفي ﴿ذلك الكتاب﴾ أشار إلى المادة التي يبني عليها، أو قولوا إن شئتم أن هذه علة مادية. (أي أن هذا الكتاب موجود عندنا هو كتاب مادي، وبالعمل به يحقق الإنسان هدفه)

والعلة الصورية هي: ﴿لا ريب فيه﴾ أي أنه يمكن أن تتطرق الشكوك والشبهات والظنون الفاسدة إلى كل شيء ولكن القرآن كتاب لا ريب فيه. فلما أخبر الله تعالى بنفسه عن عظمة هذا الكتاب أنه ﴿لا ريب فيه﴾ فلا بد أن تقفز روح كل سليم الفطرة وسعيد من ذاتها وتتمنى أن تعمل بحسب هدي هذا الكتاب. أقول بكل أسف بأن شأن القرآن الكريم الأجلى والأصفى لا يُقدَّم أمام العالم، وإلا فإن ميزاته وكمالاته وحسنه يملك في نفسه جذبا تنجذب القلوب إليه تلقائيا. مثلا إذا أُثني على حديقة جميلة وذُكرت أشجارها ذات الرائحة الزكية ونباتاتها المنعشة للقلوب وطرقاتها وجداولها وقنواتها الجارية بماء نقي؛ لتمنى كل شخص من أعماق قلبه أن يزورها ويتنـــزه فيها ويستمتع بها. وإذا أُخبر أيضا أن فيها ينابيع تشفي الأمراض المزمنة والفتاكة لتوجَّه إليها الناس بحماس ورغبة أكبر. كذلك لو عُرضت محاسن القرآن الكريم وكمالاته بألفاظ جميلة ومؤثرة جدا لسعت إليه الأرواح بكل حماس. والحق أن ما يجلب للروح أسباب السكينة والطمأنينة وما يسدّ حاجتها الحقيقية هو في القرآن الكريم وحده، لذلك قال الله تعالى:﴿هدى للمتقين﴾ وقال في آية أخرى: ﴿لايمسه إلا المطهرون﴾. والمراد

من المطهرين هم المتقون المذكورون في قوله تعالى: ﴿هدى للمتقين﴾. لقد تبين من ذلك بجلاء أن التقوى شرط لانكشاف علوم القرآن."

أقول: ولكن المشائخ المزعومين والمحرومين من التقوى في العصر الراهن قد قدّموا تعليمه بأسلوب وجد بسببه معارضو الإسلام فرصة للاعتراض على تعليمه أكثر من ذي قبل. وإنها لمهمتنا الأحمديين اليوم أن نتمسك بالتقوى ونُري الناس جمال هذا التعليم بأقوالنا وأعمالنا، ونُخبر العالَـــم أن القرآن الكريم وحده يضمن علاج الأمراض أيا كان نوعها، وأن منـــزّله هو الله الذي أنزله لهدف إصلاح العالَـــم. ندعو الله تعالى أن يوفقنا للعمل به سالكين دروب التقوى.

نعم إنها علوما دقيقة وجديرة بالإصغاء جيداً وتستحق العمل به، ونحن بحاجة إلى قراءة القرآن الكريم بتدبر وإمعان.

والآن أريد أن أوجه أنظاركم إلى الدعاء. هناك جلسة سنوية تُعقد في بنغلاديش، واليوم هو اليوم الأول لها. ولكن المعارضين هاجموا مكان الجلسة وعلى الحضور وأصيب عديد من الأحمديين بالجروح. أظن أنهم هاجموا خارج مكان الجلسة أيضا فأصيب البعض بجروح وبعضهم أصيبوا بجروح بالغة. وبالإضافة إلى ذلك أحرقوا بيوت بعض الأحمديين الذين يسكنون في تلك المنطقة بحسب التقارير الواردة إلى الآن. ولكن لا نعرف إلى الآن كمية الخسارة بالتحديد. ندعو الله تعالى أن يجنب الأحمديين من شرورهم ويبطش بالأشرار. إنه لا يستحقون دعاءً لهدايتهم بل الدعاء: "اللهم مزِّقهم كل ممزّق وسحِّقهم تسحيقا" هو الدعاء الذي يصعد من القلب بحقهم.

كذلك ادعُوا للأحمديين في باكستان أن يحسِّن الله ظروفهم أيضا. ثم هناك أخطار لا تزال محدقة بالأحمديين في بوركينا فاسو، فادعوا لهم أيضا. كذلك هناك قضايا مرفوعة ضد بعض الأحمديين في الجزائر، فادعوا لهم أيضا، وادعوا أن يحمي الله الأحمديين في كل مكان.

لقد ذكرتُ بنغلاديش آنفا وقد قال المسؤولون الحكوميون للأحمديين هناك أنِ اعقِدوا الجلسة دون أدنى قلق وسنهيء لكم حماية كاملة. ولكن لما جاء المفسدون والمشايخ الإرهابيون والمتطرفون مع أشياعهم للهجوم ظلت الشرطة متفرجة و لم تحرك ساكنا.

على أية حال، علينا أن نخضع أمام الله تعالى وندعوه ﷻ ليزيل مشاكل إخواننا سريعا.